Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصف هذه الحالة أحد الباحثين فيقول[٦٥] :

« فلست ترى حكما نحويا ، ولا قاعدة من قواعد النحاة الا لهـا تعليل يطول أو يقصر ، ويعتدل أو يلتوى ، على حسب مقدرة النحوى ، وتمكنه من زمام الجدل واللغة ، ورغبته فى التفوق واظهار البراعة ، فالفارسى غير العربى ، والمنتسب الى احدى الفرق الكلامية غير البعيـد عنها ، والطالب المقلد غير امامه ، وكل واحد من هؤلاء أخذ نصيبا من الفلسفة والجدل المنطقى الشائع أيام تدوين النحو ، ذلك الجدل الذى نشأ أول ما نشأ للدفاع عن الدين ، وما يتصل به ، ثم التزموه حتى غلبهم فى سائر بحوثهم الدينية وغير الدينية ، وصار أمارة الثقافة وعنـوان المعرفة ، وقد جلبه وأزكى شعلته الأجانب ولا سيما الفرس وغيرهم ممن اعتنقوا الاسلام ، وبلادهم مهد حضارات وثقافات مختلفة المظاهر ، وفى مقدمتها علم المنطق بما يحتويه من طرق الاسـتدلال واقامة البراهين وصنوف الجدل » .

وكان من نتيجة تحكيم العلة أن خضع لها الكلام العربى الأصيل، وأصبحت العلل غايات تخضع لها النصوص ، وكأنها أصل والنصوص فرع .

لهذا أصاب الناس زهد فى النحو ، وعزوف عن بحوثه ، ورغبة عن دراساته ، وشملت هذه الزهادة عامة الناس من المحدثين والفقهاء ، فقد ضاق هـؤلاء بجنوح النحـو الى كثرة العلل والأقيسة ، والى تشعب المسائل والأصـول والفروع ، والى اصطناع التمرينات غير العمليـة كمسائل التصريف التى وضعها النحويون للرياضـة ، وتثبيت المقاييس فى النفوس ، وغير ذلك مما يكد الفكر ، ويضيع الوقت .

وعلى هـذا فلم يبال المحدثون والفقهاء باللحن والجهل بالنحو ،

---

(٦٠) اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص ١٣٣ .